Route Educational & Social Science Journal
Volume 5(13) ,December 2018

Artical History

Received/ Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online/yayınlanma
10.11.2018	28.11.2018	1.12.2018

جيكور وأثرها في شعر بدر شاكر السّيّاب

Jikur and its effect on the poetry of Badr Shaker Sayab

موفق رياض نواف مقدادي

MOWAFAQ RIYAD NAWAF MIGDADI

أستاذ مشارك – جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كلية الآداب والعلوم – قسم اللغة العربية وآدابها

ملخص

يتناول هذا البحث علاقة الشاعر بدر شاكر السيّاب بقرية (جيكور)التي ولد فيها ، التي أصبحت ملهمته في الشعر ،وملاذه الذي يهرب إليه في خياله وأحلامه من المدينة القاسية التي تمثّل الماديّة ، فالمدينة هي من أسباب اتجاه السياب لجيكور وحنينه إليها ، وذلك لما لاقاه فيها من عذابات تمثلت بـ : حاجته للمال ، وطرده من الوظيفة ، وملاحقته بسبب السياسة ، إضافة إلى فشله في علاقاته العاطفية فيها ؛ لذلك وازن بين القرية والمدينة ، حيث رجحت فيها كفّة القرية التي أصبحت رمزا للطهر والصفاء و الراحة والطمأنينة و الخلاص فهي الملاذ ؛ لذلك لم يستطع التأقلم مع المدينة ، فهرب إلى قريته سواء كان هذا الهروب هروبا حقيقيا أم معنويا،ومن هنا فإن جيكور تتعدى أن تكون قرية صغيرة ؛لأنه وصل بها إلى درجة رمزية أسطورية .وقد ظهر هذا جليا في شعره ،وقد بيّن هذا البحث هذه العلاقة ووضّحها من خلال تحليل شعره الخاص بهذا الموضوع .

تنـاول هـذا البحـث: دواعـي اهتمـام السـياب بجيكـور،و جيكـورالتفاؤل والمـلاذ، وجيكـورالألـم ، وبويـب نبـع الحيـاة ،والمكـان في جيكـور، كمـا بحـث متعلقـات هـذا المكان،والأمـاكن الجزئيـة المرتبطـة به:بويب ،وبيت الجد،وبيت الأقنان،و شباك وفيقة ... .

الكلمات المفتاحيّة: جيكور، بويب، التأثير، الملاذ.

Abstract

Jikur and its effect on the poetry of Badr Shaker Sayab

This research deals with the relationship between the poet Badr Shaker al-Sayab and the village of Jikur, where he was born, and which became the source inspiration in his poems and his his own resort, whene he escapes in his imagination and dreams from the harsh city that represents materialism. The city is one of the reasons for the direction of Siyab to Jikur the suffering in the city represented: his need for money, And therefore he was unable to cope with the city, and fled to his village, where he lived in the village. Whether this flight is a real or moral escape, and hence Jikur goes beyond being a small village; because it reached it to a symbolic and legendary degree. This was clear in his poetry, This research has shown this relationship and explained it through the analysis of his poetry on this subject.

This research deals with the interest of Siyab in Jikur, Jikuralatvala, the sanctuary, Jikur the hope, the spring of life, and the place in Jikur, as well as the related parts of the place: Poeb, Grandfather's House,

Keywords: Jikur, Poebe, Influence, Refuge

مدخل

ولد السياب في قرية جيكور التي تقع جنوب العراق ، أمّا أصل التسمية فيعود للغة الفارسية (جوي كور) أي الجدول الأعلى ، عاش فيها الشاعر أيام البراءة إلى أن أصبح شاباً ،و يرى السياب أنّ قريته جنة الله في الأرض ، تعمّ فيها :أشجار النخيل، ومزارع الكروم ،والأنهار والينابيع ، وهذه الجنة لها نبع يغذيها، وهو نهر بويب الذي يعد شريان هذه القرية، ومصدر حياة لها ، وقد عده السياب رمزا للحياة ،وأما قصر الجنة فهو منزل الجد أو البيت الكبيرالذي احتوى طفولته ، و قد كانت جيكور قرية منسية لا صيت لها ، نفض السياب الغبار عنها وأخرجها من النسيان والهجر وجعلها عروس أشعاره،حوّلها إلى رمز للطهر والصفاء ،وجعلها ديوان شعره .يدرس هذا البحث أثر جيكور في شعر السيّاب ،حيث تعدّ ملهمته في شعره ن وملاذه في حياته الصعبة والقاسية التي عاشها في المدينة ، حيث: عانى من الظلم الاجتماعي ، والفراغ العاطفي ، والمرض فلجأ لقرية في شعره التي كانت الحاضر الأكبر ؛ لذلك حاول هذا البحث بيان الأثر الفني والمعنوي لقريته في شعره وفق المنهجين: الوصفي والتحليلي، وسيتناول البحث المفردات الآتية : دواعي اهتمام السياب بجيكور ،و جيكورالتفاؤل والملاذ،وجيكور الألم،و بويب نبع الحياة،و المكان في جيكور،وخاتمة البحث.

دواعي اهتمام السياب بجيكور :

أولا: الانتماء ،فهي مسقط رأسه، عاش طفولته فيها بين المزارع والنخيل ،لعب بطينها الذي شرب ماء بويب، وحوت أيضا أيام اللهو والبراءة التي لا هموم فيها،ولكن بعد أن فارقها أثقلت الهموم كاهله حيث: الحاجة للمال،والسجن، والمرض الذي نخر جسده وبراه...إلخ؛ ولذلك كان يحن للرجوع إليها:

وتحت شمس المشرق الأخضرَ

في صيف جيكور السخيِّ الثرى

أسريتُ أطوي دربيَ النائي

بين الندى و الزهر و الماء[1]

ثانيا :الذكريات ، ضمّت جيكور حبّه الأوّل: أمه، فقد امتزج حبّه لجيكور بحبّه لأمّه ،حيث اندغمتا معا، فاستمدت عطفها وحنانها على الشاعر من أضلاع أمّه، وعينيها اللواتي صرن جزءا من أرض جيكور وترابها، فأصبحت ترعاه:

أفياءُ جيكور أهواها

كأنها انسرحتْ من قبرها البالي ،

من قبر أمي التي صارت أضلاعها التعبى وعيناها

من أرض جيكور .. ترعاني وأرعاها[2]

وضمّت كذلك ذكرياته المتمثلة بحبه لهالة في المرعي(هويل)، من إحدى القبائل العربية ، تعرف إليها بدر وخفق لها قلبه ، وهو في آخر عام دراسي بثانوية البصرة ، فأصبح هو الراعي صاحب الناي والتلاحين الحزينة .[3]

وفي أغنية الرعيان ما بين الربى الخضر

سئمنا العالمَ الفانيَ والناسَ ومرعانا

لقد سجنوا بأغلالٍ من الأنظار نجوانا

سننشدُ في أمانٍ من عيون الناس مأوانا

ضعي يدك الجميلة في يدي و لنذهب الآنا [1]

[1] الأعمال الكاملة ، العودة لجيكور ، ص 371 -372.
[2] . أفياء جيكور : ص530.
[3] بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره ، إحسان عباس ص42.

و ضمّت أيضا حبّه لوفيقة التي تجمع في طبيعة حياتها وموتها بين بدر وأمه ، فهي فتاة من عائلته ماتت أمها وتركتها يتيمة ، كما حدث لبدر، وقد تزوجت وتركته وحيدا ، ثم توفيت في المخاض ،وتركت طفلاً يتيماً ،فهي في شخصها تمثل مشكلة بدر، وهي في موتها تمثل أمّه ، وكان التلاقي في المصيبة يربط بدراً بها [2]:

تقطّع العروق في يدي ، أستغيث : « آه يا وفيقة

يا أقرب الورى إليَّ أنت يا رفيقة[3]

وكان حبّه للطبيعة جلياً في أشعاره حيث إنه استلهم أجمل الصور من قريته ووظفها في قصائده ، فالطبيعة هي مصدر إلهامه ، وقصيدة أنشودة المطر التي تعد من أشهر قصائده تمثّل الطبيعة فيها أهم العناصر الجمالية :

عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعةَ السحَرْ ،

أو شُرفتان راح ينأى عنهما القمر .

عيناك حين تبسمان تورق الكرومْ

وترقص الأضواء ... كالأقمار في نهَرْ[4]

ثالثا : المدينة : هي من أهمّ أسباب اتجاه السياب لجيكور وحنينه إليها ، وذلك لما لاقاه فيها من عذابات تمثلت بـ: حاجتة للمال، وطرده من الوظيفة ، وملاحقته بسبب السياسة،إضافة إلى فشله في علاقاته العاطفية فيها ؛ لذلك وازن بين القرية والمدينة،حيث رجحت فيها كفّة القرية التي أصبحت رمزا للطهر والصفاء والملاذ :

وتلتفُّ حولي دروب المدينة:

حبالاً من الطين يمضغن قلبي

[1] الأعمال الكاملة ، أغنية الراعي ص 57.
[2] بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره ، .إحسان عباس ص392.
[3] الأعمال الكاملة ، مدينة السراب ص 510.
[4] بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره ، .إحسان عباس ص 402.

ويعطين :عن جمرة فيه ، طينة ،

حبالاً من النار يجلدْن عُرىَ الحقول الحزينة

ويُحرقن جيكور في قاع روحي

ويزرعن فيها رماد الضغينة[1]

إنّ للمدينة أثراً بالغاً على فشله في الحب فأكثر من أحبهنّ كن في المدينة(بغداد) ،ومن أسباب هذا الفشل المال الذي أصبح الإله في المدينة [2]؛ لذلك فإنّ المدينة " تمثل بالنسبة إليه الخواء والفراغ والصخب وغلبة النضار على الجمال والمثال . وهنا تلعب الذكرى دورها ، فلا أمل للسياب في القدرة على الصراع في المدينة:الحجارة والحديد ، وإذن فالهروب والحلم هما طريقه للخلاص من هذا الاغتراب القاتل في بغـداد »[3]؛ ولهذا اتجه في قلبه وخياله وأحلامه إلى قريته جيكور، ليعوض الحالة المأساوية التي عاشها في المدينة .

جيكـــورالتفاؤل والمـــلاذ:

غلب الطابع التشاؤمي على نفسية السياب ؛ وذلك بسبب ما لاقاه في حياته ، ولكن الأمر مختلف في جيكور ، حيث تمثّل التفاؤل فهي: رمز للخير والطيبة والأمان،وهي الفراشة التي تحلق في أشعاره ؛لذلك صورها بأبهى صور التفاؤل في قصائده مثل: أفياء جيكور، والعودة لجيكور، وغيرها من القصائد التي قد صرّح فيها باسم جيكور، وفي بعض القصائد استخدام الصور المستوحاة منها فهي: النور الذي يحلّ على ساكنيها حيث يقـول:

جيكور يا جيكور

شلّت خيوطُ النور

أرجوحةَ الصُّبْحِ[4]

قدّم الشاعر صورة تتآلف فيها مكونات الطبيعة الجميلة : فجيكور حفل نور، وجدول فراشات،وقمر منير، ومطر ، وميلاد مرتبط برحم أمّه،لكنّ هذا الجمال والسّحر لا يراه إلا في الأحلام ؛ لأنّه في الحقيقة بعيدعنها وغريب:

جيكورُ جيكورُ ، يا حَفْلاً من النور

[1] الأعمال الكاملة ، جيكور والمدينة ،ص 365.
[2] الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب : أحمد عودة الله الشقيرات ،ط1 1987م ،دار عمار .ص 115.
[3] المصدر نفسه، ص 116.
[4] الأعمال الكاملة ، العودة لجيكور، ص 371.

يا جدولاً من فراشات نُطاردها
في الليل ، في عالم الأحلام والقَمَرِ
ينشرْنَ أجنحة أندى من المطرِ
في أول الصيفِ[1]

تصوّر قصيدة (أفياء جيكور) كلّ ما هو جميل فيها ، وقد جعلهَا السياب أسطورة في الجمال والخير والصفاء، وهي منبع ولادة عراق جديد وقد « اتسعت في تجربته واتخذت بعداً وجودياً ميتافيزيقيا الخصب والرزق والطمأنينة وإقبال الحياة ... إنها الألفة والأهل والمحبة وما إلى ذلك مما هو مأثور في نعيم القرية ... من دون جيكور يفقد الإنسان إنسانيته إذ يغدو عبدا للمادة والحاجات ويستحيل إلى وتد متوحد ».[2]

جيكور نامي في ظلام السنين[3]

يستمدّ السيّاب في قصيدة (صياح البط) التفاؤل من صياح البط الذي جاء" للدلالة على قرب هطول الأمطار يبشر بالمطر الذي يترقبه الفلاحون ترقب الخير، صوته هو صوته القديم لا يبح ولا يصدأ ، تطرب له النخيل كأنها تسمع به كركرات المطر، وتستضيء له النوافذ المظلمة بنور الأمل أنه صياح الخصب تستبشر به الشطآن وتمتد به السهول أثر السهول »[4]

صياحٌ .. كأنَ الصَّياحْ

ينشَّرُ مما انطوى من رياح ،

سهولاً وراءَ السهول[5]

[1] الأعمال الكاملة ، أفياء جيكور، ص528.
[2] بدر شاكر السياب شاعر الأناشيد والمراثي بقلم ايليا الحاوي دار الكتاب اللبناني_ بيروت، ج 6، ص42-43.
[3] الأعمال الكاملة ، العودة لجيكور ، ص374.
[4] المصدر نفسه ،ج3،ص 104.
[5] الأعمال الكاملة ، صياح البط البري، ص529.

استوحى السيّاب هذه الصورة المتفائلة من جيكور حيث إن البط البري يكثر فيها ، فصياح البط دلالة على قدوم الخير للفلاحين وانتشار الأزهار التي تطير فوقها الفراشات وإقبال الربيع بكل ما فيه من بهجة وسرور.

جيكور ملاذ السياب من هموم المدينة وطاغوت المال الذي أصبح غاية وليس وسيلة ، فـجيكور منزل كبير يمثّل محبة الإنسان لأخيه تكافلا وتضامنا ، لا من أجل مصالح ماديّة، ويصف عودته إلى جيكور بأنها كانت على جواد الحلم الأشهب وأنه سرى إليها عبر التلال هارباً من زحمة الناس في المدينة التي لم يتعود عليها في جيكور، وهاربا من المدينة وأهلها الذين تربطهم المصالح، ومن صباحها المتعب من السهر، و الخمر، ونفاقها (المخبوء) و ما تمثله من مظاهر الزيف وإنعدام قيمة الإنسان حيث تغدو الحياة في المدينة ثقيلة ،وهذه الحياة لم يألفها السيّاب في جيكور يقول :

على جواد الحُلمُ الأشهبِ

أسريتُ عَبرَ التلالْ

أهرب منها ، من ذُراها الطوال،

من سوقها المكتظّ بالبائعين ،

من صبحها المتعب

من ليلها النابح والعابرين ،

من نورها الغَيهب ،

من ربها المغسول بالخمر،

من عارها المخبوء بالزهر

.....

على جواد الحُلُم الأشهب

وتحت شمس المشرق الأخضرَ

في صيف جيكور السخيِّ الثرى

أسريتُ أطوي دربيَ النائي

بين الندى و الزهر و الماء[1]

تثقل المدينة المأزومة قلبه بالهموم فحاول الهروب منها ولو خيالا ،فاتجه إلى جيكور الملاذ والخلاص: على جواد الحُلُم الأشهب،ووازن بين النقيضين: المدينة الآثمة وجيكور الجنّة ،ثمّ سرى عبر التلال و عاد على الجواد الذي تعلوه الشمس المشرقة ،وتحته والمناظر الخلابة التي تزين له طريق العودة الطويل فهو يريد أن يبني عالماً مثالياً أثناء عودته إلى جيكور، كعودة الظمآن من الصحراء إلى أرض خضراء ينبع في قلبها نهر مليء بالخير والعطاء

جيكور مسّي جبيني فهو ملتهبُ

مسّيه بالسّعَفِ

والسنبلْ الترف[2]

وكانت الأمنية الأخيرة عنده أن تكون نهايته في أحشاء جيكور حيث ترقد أمه ،فهو يريد الخلاص من العذاب الذي يعيشه سواء عذابه النفسي الذي يحمله من جراء رحيله عن جيكور ،و قسوة المدينة عليه ، و المرض الذي يقتله كلّ يوم، فلا خلاص من هذا العذاب إلا بالرقود في أحشائها الطاهرة:

جيكورُ لُمي عظامي ، وانفضي كَفَني

[1] الأعمال الكاملة ، العودة لجيكور ، ص 371 -372.
[2] الأعمال الكاملة ، أفياء جيكور ، ص 528.

من طينهِ واغسلي بالجدْوَل الجاري

قلبي الذي كان شبَّاكاً على النارِ

لولاك يا وطني ،

لولاك يا جنتي الخضراء ، يا داري

لم تَلقَ أوتاري

ريحاً فتنقل آهاتي وأشعاري [1]

وقصيدة (جيكور أمي) التي كتبها في لندن في 1963/2/5م تدلّ على مكانة جيكور عنده ، وهذا واضح من عنوانها ، فهي أمه التي منحته الحنان في صغره ،والأمان في كبره ، فهي ليست مجرد قرية عاش فيها ولكنها أمّه الخالدة بخلود الأرض ،فقوله (وإن أجئها كسيحا) يرتبط مع حالته الصحية عندما كتب القصيدة ، أقعده مرضه ، وأصبح يمشي على عكازتين فجاء إليها يبحث عن الملاذ ،وعن حنان أمه بسبب ما لاقى من العذاب ,و المرض والفقر ، فجيكور هي الملاذ والأمان وهذه العودة عودة إلى الطبيعة التي هي من ملهمات السيّاب ، ماء بويب،أزهار القرية، وجناتها، فهي رمز للخلاص من المدينة المليئة بالهموم والظلم والجفاء .

تلك أمّي و إنْ أجئْها كسيحا

لأثماً أزهارها و الماء فيها ،والترابا

و نافضاً بمقلتي ، أعشاشها و الغابا [2]

جيكـــور الألـــم

[1] المصدر نفسه، ص529.
[2] الأعمال الكاملة ، جيكور أمي ، ص 650.

تتمثل تلك الآلام في قصيدة (مرثية جيكور) فبعد أن كانت رمزاً للأمل والتفاؤل أصبحت عرضة للخراب، ولم يجعلها رمزاً للتشاؤم بل جعلها ضحية بسبب التمدن الذي حصل فيها ،واستعمل في هذه القصيدة عدداً من الرموز منها : رمز صلب المسيح عليه السلام للدلالة على الموت[1] ، حيث تتعرض لهجوم بربري تمثّل « في طائر الحديد الذي ألقى صليب المسيح فوق جيكور، مستعيراً هذه الصورة من إديث سيتول أيضاً ، إلا أن سيتول تتحدث عن الصليب الملقى، تنظر إلى صورة المقابر المسيحية والصلبان مغروسة فيها ، أما السياب فإنه تجاوز في نقل الصورة فجعلها تمثل الموت نفسه دون نظر إلى ملابساتها الأخرى»[2]

يا صليب المسيح ألقاكَ ظلاً فوق جيكور طائر من حديد

يا لظلّ كظلمة القبر في اللون ، وكالقبر في ابتلا ع الخدود

والتهام العيون من كل عذراء بيت لحم الولود

مرّ عجلان بالقبور العواري من صليب على النصارى شهيد

فاكتسب منه بالصليب الذي ما كان إلا رمز الهلاك الأبيد:

لا رجاءٌ لها بأن يُبعث الموتى ولا مأمل لها بالخلود [3]

تحمل هذه الأبيات صورا قاسية ،ويدل ذلك على الحالة النفسية للسياب، أو حالة الضعف والانهيار والتشاؤم والألم المرير، فهذه العذراء /أي جيكور/ تتآكل كما تتآكل العذارى في القبور،و بعد ذلك يبحث عن أيام جيكور الخضراء الجميلة التي ذهبت ،و سهر ليلها المفقود في الصيف ، و الأفراح التي ولّت:

ويل جيكور ؟ أين أيامها الخضرُ وليلاتُ صيفها المفقود ؟

[1] هذا الرمز بفعل التأثر بالنصوص الغربية ؛ لأن هذا الرمز لا يتوافق مع العقيدة الإسلامية التي تستند للقرآن الكريم الذي يقرر عدم صلب المسيح عليه السلام ، قال تعالى :" وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم" النساء :آية 157.

[2] بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره ، إحسان عباس ، ص263 .

[3] الأعمال الكاملة ، مرثية جيكور ،ص357.

والعشاءُ السخي في ليلة العرس وتقبيلة العروس الودود [1]

إلى أن يقـول :

فهي صحراء تزفر الملح آهات وشكوى ، لمائها المؤود[2]

فبعد أن كانت زاهية نضرة،أصبحت صحراء، ماؤها مالح، والملح سبب الموت لتلك الأشجار والنباتات التي تملأ جيكور،وقد تشير هذه الصورة إلى تصحر قلوب وضمائر الناس بسبب ما جلبوه من المدينة من فساد أخلاقي، كما أنّ الملح في قلوب الناس، وليس في أرض جيكور فقط ، وكذلك فإن قصيدة (جيكور شابت) تحمل آهات السياب تجاه جيكور محبوبته. التي هرمت واقتربت من الموت ؛ لذلك تجده ينشر آهاته فيها ، ويبحث عن أيامها النضرة :

آه جيكور ، جيكور..

ما للضحى كالأصيل

يسحب النُّور مثلَ الجناح الكليل ؟

ما لأكواخكِ المقفراتِ الكئيبه

يحبس الظلُّ فيها نحيبَه ؟[3]

وهكذا أصبح النور تعبا كليلا خافتا في جيكور "كما خفت في سراج الشاعر ، والضحى شاحب ، نوره منحل ، متراخ كالجناح الكليل والظلال تكاد أن تنتحب في أكواخها .تلك مرآة الشاعر منعكسة عليها ، لا بل أن جيكور ذاتها تبدلت ، نزح أهلها وخلوا بيوتهم أكواخاً وأطلالا ، وكان السياب ذاته قد تهدم ولم يتخلف من جسده إلا

[1] المصدر نفسه ،ص358.
[2] المصدر نفسه ،ص359.
[3] الأعمال الكاملة ، جيكور شابت، ص 541.

بقايا وأنقاض ، هو وقريته أمسيا ضحية الزمن اغتالهما غول التغير» .[1] ونظير هذا التبدّل والتحّول القسري الذي حصل لجيكور ولذاته أراد منها أن تعيد «عمره الضائع له أيام لهوه وصباه لأنها هرمت وشاخت حتى غدا صباحها كمسائها ، وقد منحته الماضي الذي ولّى فأعادته إليه حياً نابضاً في خاطره حين اشتدت عليه وطأة المرض. وهكذا أمست العودة ليست إلى جيكور ؛ لأنه لم يجد عندها عمره الضائع . بل إلى الماضي الذي تجسد في جيكور وذكرياتها »[2]:

يا صباي الذي كان للكون عطراً وزهْواً وتيها..

كان يومي كعام ، تعدُّ المسرّة

فيه نبْضاً لقلبي تفجّر منها على كلّ زهرة

كانت الأرض تلقي صباها لأوّل مرّه..

كان للأرض قلبٌ ، أُحسُّ به في الدروب،

في البساتين ، في كل نهْرٍ يُروّي بنيها

آه جيكور ، جيكور..[3]

فأصبح الرجوع إلى الماضي يمثّل الخلاص الوحيد للسياب من المرض، والفقر، والغربة وغيرها ...، وقد أمست الحقبة الأخيرة من حياة بدر مزيجا من الحديث عن ذكريات الأمس وربطها بآلام الحاضر ، ومن ثمّ ربطها بالمشاكل العالمية، وبذلك جعل مشكلته الخاصة مشكلة يشاركه فيها العالم . شابت جيكور وولى صباها فما بقى سوى العجائز والبيوت الخاوية واليتامى وفعل بها الزمن ما فعل، فهو يبحث عنها وعن أيام صباها التي ذهبت كما ذهب عمره.

عجائزُ يغزلْنَ حول الصِّلاء

[1] بدر شاكر السياب شاعر الأناشيد والمراثي ، ج3، ص 110-111.
[2] الحزن في شعر بدر شاكر السياب ، ص 111.
[3] الأعمال الكاملة ،جيكور شابت ،541.

ويروينَ عَبْرَ الكرى والفتور،

أقاصيصَ عن جنّةٍ في بيوتٍ خُواءْ ،

لأحفادهنَّ اليتامى .

وجيكور شابتْ وولى صباها

وأمسى هواها رماداً ، إذا ما

تأوَّهْنَ هَنّته ريحٌ..

أين جيكور؟

جيكور ديوانُ شعري[1]

ثم يسأل جيكور عن الأيام والذكريات ، هل جيكور دُفنت في ذكرياته ، أم إنها هي التي دفنت هذه الذكريات ؟ فإذا كانت هي قبر لذكرياته فلا يمكن أن تعود ؛ لأن أهل القبور لا يعودون فهو طريق ذهاب لا عودة فيه ، فيقول :

إيهِ جيكور ، عندي سؤالٌ ، أما تسمعينَه ؟

هل تُرى أنتِ في ذكرياتي دفينة

أم تُرى أنتِ قبر لها ؟ فابعثيها

وابعثيني

وهيهات ما للصِّبى من رجوعٍ

إن ماضيَّ قبري وإني قَبرُ ماضيَّ [2]

[1] المصدر نفسه ،ص 542.
[2] المصدر نفسه، ص543.

وقد أدرك السياب « أن ما يطلبه منها لم يكن بمستطاعها أن تمنحه إياه ، وليس له أن يستطيعه . فهل له أن يحذف الزمن ؟ أو أن يشطب فعل السنين وها هو ذا يعود الآن وقد هده المرض . وإذا كانت جيكور عند بدر ذلك العالم المثالي الجميل ، فإن هذا الشعور أخذ يضمحل ويذبل في نفسه فقد انحسرت عنها تلك الأخيلة وبدت على حقيقتها حين ألح عليه المرض لتصبح ملجأ يحتمي فيه من عاديات الأيام . وقسوة الحياة. أو قبراً يضم بقايا حطامه ».[1]

لقد أضاع حبه الطاهر وعمره القصير ، ولم يبق له إلا جيكور وحبها والذكريات . والسبيل الوحيد لإعادة الزمن الجميل يكمن في أحياء الماضي ، التخلص من الحاضر المرير القاسي . وكل وقته الذي مر ويمر في المدينة لا يعد من العمر ، لأنه متثاقل بطيء ، وخارج دائرة الزمن المحسوب على الشاعر [2]،و لن تعود جيكور كما كانت إلا بالألم والتضحية فهو في قصيدة (تموز جيكور) يؤمن بأن جيكور ستعود لكن ثمن عودتها مؤلم ويحتاج إلى تضحية[3]

جيكورُ.. ستولدُ جيكورُ:

النّور سيُورق والنُّورُ

جيكور ستولد من جُرحي ،

من غصّة موتي ، من ناري

سيفيض البَيْدر بالقمحِ [4]

كتب السيّاب قصيدة (جيكور والمبغى)في 1960 م ونشرها في مجلة الشعر، والمفارقة تكمن في اطلاق بدر على جيكور لفظ (المبغى) ، فقد تعودنا أن نراها رمزا للخير والمجتمع المثالي البسيط ، ولكنه استعملها مع جيكور بدلاً من بغداد في هذه القصيدة ليوهم السلطة في بغداد بأنّه لا يقصدها ، ولكن المقصود فعلا بغداد .

[1] الحزن في شعر بدر شاكر السياب، ص 109.
[2] ينظر : بدر شاكر السياب شاعر الوجع، ص159.
[3] بدر شاكر السياب حياته وشعره ،عيسى بلاطه، ص 149.
[4] الأعمال الكاملة ، جيكور تموز ، ص 362.

بويب نبـع الحيــاة:

بويب شريان حياة جيكور ونبعها الصافي الذي جعل منها جنة خضراء تزهو بالنخيل وبأزهارها وفراشاتها . النبع الذي تكمن في ضفتيه جنات من البساتين ، وكان النبع سبب سعادة أهلها فهو الذي يغذي الأشجار والنباتات التي هي مصدر رزق أهل هذه القرية ، يلعب الأطفال ويمرحون على ضفتيه ، وهو جنتهم الصغيرة ، بويب النهر الذي تغنى به السياب في أشعاره هو جزء من ديوان شعره فهو جزء من جيكور ، وقد خصه بأكثر من قصيدة فجعله رمزاً للحياة كما في قصيدة (النهر والموت) ، حيث بدأ القصيدة بنداء (بويب.... بويب)

أودُّ لو أُطلُّ من أسرّةِ التلال

لألمحَ القَمَرْ

يخوض بينَ ضفتيكَ ، يزرع الظلالْ

ويملأ السِّلال

بالماء والأسماك والزّهَرْ[1]

بويب مصدر الخيرات،يمنح أهل القرية متطلبات الحياة ، الماء العذب الذي يرويهم ويروي الحياة بأسرها وفيه الأسماك التي تعد من مصادر العيش في القرية وفيه المحار أيضاً الذي هو نبع للجمال عندما يعلوه ضوء القمر فيضيء :

وأنتَ يا بُويب ...

أود لو غرقتُ فيك ، ألقِطُ المحارْ

أشيدُ منه دار

يُضيء فيها خُضرة المياهِ والشَّجر

[1] ديوان بدر شاكر السياب ، ناجي علوش ، دار العودة ،بيروت ،1971م.ص 454.

ما تنضحُ النجومُ والقمر

وأغتدي فيكَ مع الجَزرِ إلى البَحر [1]

هذه صورة بويب التي يعيشها السياب، بويب جميل بذاته ، وأجمل عندما يخترقه ضوء القمر الذي يعطي للمحار التي تختزن فيه لمعان يزيد من سحر هذا النهر ، وتدل هذه الصورة على الهدوء والصفاء الذي يكون فيه بويب أثناء الليل . خيرات بويب لا تتوقف عند جيكور بل تتعدى ذلك ليغذي البحر عند التقائه به ، فعند ذلك الالتقاء يصدر أصواتا تشبه أصوات الأجراس :

أجراسُ بُرج ضاع في قرارة البَحَرْ

الماء في الجرار، والغروب في الشَّجَر

و تنضحُ الجرارُ أجراساً من المطرْ [2]

ويعود السياب إلى بويب للهروب من الواقع ، والرجوع للذكريات الجميلة بعد الفراق الطويل بينه وبين هذا النبع الصافي، بعد عشرين عاما مليئة بالآلام والمرض فهو يواسي نفسه بتلك الذكريات ويهرب إليها ويسهر معها إلى الصباح

عشرون قد مضين ، كالدُّهور كلُّ عام

واليوم ، حين يُطبقُ الظلامْ

وأستِقرُّ في السرير دون أن أنام

وأرهفُ الضمير: دوحةً إلى السَّحَرْ

مرهفة الغصون والطيور والثمرْ [3]

[1] المصدر نفسه ص 455.
[2] المصدر نفسه ص 453.
[3] المصدر نفسه ، ص456.

والسياب حائر في قصيدة (النهر والموت)" بين نوعين من الموت ، الموت الذي يفتن الصغار وبابه الخفي في نهر بويب ، أي حيث ترقد الأم ، فهو موت يحقق العودة إلى الطفولة ، والموت الثاني هو موت المواجهة في صفوف المكافحين برصاصة تنقذ المرء من حاضره ، وهو موت في نطاق الجماعة فيه الجرأة والمشاركة معا وهو ليس موتاً وإنما هو انتصار، وتتركب القصيدة بحسب هذين النوعين من الموت تركبا ازدواجيا . فأجراس بويب والجرار التي تملأ من مائه تقابلها أجراس موتى ترن في عروق المناضل »[1]، فالشاعر فتن بالموت وهو صغير موت منبع الحنان موت أمه التي دفنت بالقرب من هذا المنبع الصافي ، وفتن به وهو كبير بموت المناضلين فهو على استعداد ليموت من أجل الوطن فإذا مات برصاصة من أجل الوطن فهو المنتصر فالموت هنا انتصار ؛لأنه يحمل العبء عن البشر ،و يخلصهم من العذاب:

فالموت عالمٌ غريبٌ يفتنُ الصِّغار،

وبأبه الخفي كان فيك ، يا بُوَيب ...

أجراس موتى في عروقي تُرعش الرنين ،

فيدلهُم في دمي حنين

إلى رصاصة يشق ثلجُها الزُّؤامْ

أعماقَ صدري ، كالجحيم يُشعِل العظام.

أودُّ لو عدوتُ أعضد المكافحين

أشدّ قبضتيَّ ثم أصفعُ القَدرْ

أودُّ لو غرقتُ في دمي إلى القرار،

لأحملَ العبْءَ مع البشرْ

[1] السياب حياته وشعره، أحسان عباس ص 311-312.

و أبعثَ الحياة . إنَّ موتى انتصار[1]

وفي قصيدة (نهر العذارى) يتجسد هذا النهر، ليكون سبب التفاؤل،والسعادة،فهذا النهر بما يحمله من طهر ونقاء وجمال يحجب التشاؤم، حيث يقول :

يا نهر ، لولا مُنحاكَ وما يُشابك من فروعِ

ما كانتِ البسماتُ في عيني تُطفأ بالدموعِ

حجَّبتَ ، بالشأو البعيد تسدُّ بابيه الظِّلالُ

وجهاً تلاقي في مُحيَّاه الوداعةُ والجمالُ

مرآتك الخضراء ، منذ جَلَوْتها تحت السماءِ[2]

المكـان في جيكـــور

حوّل السياب المكان من حيّز جغرافي إلى رمزيّ ، فالبيت الكبير في الماضي احتضن العائلة ، بيت الجدّ عبد الجبار مرزوق السياب ، و في الحاضر عبّر عن حاله بقوله:

مطفأةٌ هي النوافذ الكثار

و باب جدّي موصدٌ وبيته انتظار

و أطرق الباب ، فمن يجيب ، يفتحُ ؟[3]

[1] ديوان بدر شاكر السياب ، ص455-456.
[2] الأعمال الكاملة ، نهر العذارى ،ص 245.
[3] الأعمال الكاملة ، دار جدي ، ص 498

أصبحت نوافذ البيت الكبير (مطفأة) بسبب هجرانه، فالبيت كان يشع بالحياة والنور، والآن أصبح مهجورا، وعندما جاء يطرق الباب يجبه أحد فأحسّ بالانكسار والألم ؛ لأنّ هذا البيت الكبير كان بمثابة الأم لساكنيه ، يحميهم من حر الصيف وبرد الشتاء،وهو المأوى و رمز الطمأنينة والسلام، ومرتع الطفولة الجميلة وذكرياتها:

أأشتهيك يا حجارة الجدار ، يا بلاط ، يا حديد ، يا طلاء؟

أأشتهي التقاءكن مثلما انتهى إلي فيه ؟

أم الصّبا ، صباي والطفولة اللعوب والهناء؟

وهل بكيت أن تضعضع البناء

وأقفر الفِناء أم بكيت ساكنيه ؟

أم أنني رأيت في خرابك الفناء

محدّقاً إليّ منك ، من دمي

مكشراً من الحجار ؟ آه أيَ برعم

يُربُّ فيك ؟ برعم الردى غداً أموت[1]

يشتهي كلّ جزء من هذا البيت ويشتاق إليه: للجدار ولطلائه ، ولأرضية البيت وأثاثه ... فكل ما فيه يحوي ذكرياته ،فهذا البيت شاهد على أيام الصبا والطفولة واللعب والسعادة . ويسأل نفسه هل البيت هو المقصود أم أهله؟ ويسأل الشاعر أيضاً هل هذا الهجر هو الهجر لكل ما هو جميل؟ وبعد هذه التساؤلات يتوصل إلى الحقيقة المؤلمة وهي أنّ الموت آتٍ لا محالة والفناء مكتوب للدار وأهلها ؛ لذلك تأوه حزينا، من خلال صورة غريبة تجمع بين متضادين

[1] المصدر نفسه، ص498-499.

(البرعم / الموت) وهذا يؤدي للتساؤل ما علاقة البرعم الذي هو بداية الحياة بالموت الذي يمثل النهاية؟! حول الشاعر البرعم إلى رمز لبداية نمو الموت ، فالبرعم هو الزمن وتفتحه يكون بالموت ؛لأنّ فكرة الموت(موته)تسيطر على كيانه.

ويعدّ بيت الأقنان[1] من الأماكن التي كان لها حضور في قصائده:

ألا يا منزلَ الأقنان ،كم من ساعدٍ مفتولْ

رأيتَ ومن خطىً يهتز منها صخرك الهاري[2]

ثمّ تحوّل البيت إلى خراب حاله حال البيت الكبير، وقد ربطهما الشاعر بالخراب والفناء بعد خلوهما من الساكنين،كما ربطه بإحساسه بقرب الموت ودنو أجله ،فقد كتب قصيدة (منزل الأفنان) في 3\1\1963م وهو يصارع المرض :

خرائبُ فانزع الأبواب عنها تغْدُ أطلالا ،

خوالٍ قد تصكُّ الريحُ نافذةً فتُشْرعها إلى الصّبحِ

تُطلُّ عليكَ منها عينُ بومٍ دائبِ النُّوْحِ .

وسلَّمُها المحطّم ، مثل برجٍ داثرٍ ، مالا

يئنَ إذا أتتهْ الريح تصعده إلى السَّطحِ ،

تعدّ خطى الزَّمان بسقسقات ، والمناقير

وتملأ عالم الموت[3]

كان لشباك وفيقة(الأزرق) معلما من معالم جيكور ، وكان أحد الينابيع التي ترتوي منها شاعريّة السياب ،وعندما زار جيكور مسقط رأسه عام 1961م بعد وفاة وفيقة وجد أنّها"لا تزال حية في قلبه مثالاً أعلى لا تُنال. ولم

[1] القِنُّ . العبد المتعبد ويجمع على الأقنانِ وهو الذي في العبودة إلى آباء ، كتاب العين :أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي الناشر : دار ومكتبة الهلال تحقيق : د.مهدي المخزومي ، ود.إبراهيم السامرائي ،ج5 ، ص27.
[2] الأعمال الكاملة ، منزل الاقنان ، ص 583.
[3] الأعمال الكاملة ، منزل الأقنان ،ص 583-583.

يذكره شباكها الأزرق بآماله الخائبة فقط،بل ذكرّه أيضا بفناء الحياة نفسها ... كان شباكها هو الصخرة التي عرج منها قلبه إلي سماء الحب، وفيقة تحلم في قبرها ،. كان شباك وفيقة بالنسبة له حبلا يشد الحياة إلى الموت كي لا تموت.كان بدر يريد أن يعيش في الماضي لأن الماضي لا يموت ما دامت ذكراه حية في الذهن ».[1]

شبَاكُ وفيقةَ بالقرية

نشوانٌ يُطلُ على الساحة

يا صخرةَ معراج القلب

يا صور الألفة و الحبِّ

يا درباً يصعد للرب[2]

جعل هذا الشباك رمزا لكل محبّ عانى بسبب حبه ، ولم يفلح بهذا الحب ، ومهما اشتدّت أزماته لا ينسى هذا الالتزام الذي ربط شعره به ، فهو شاعر عالمي استطاع أن يحوّل جميع قضاياه الخاصة والقومية إلى قضية عالميه إنسانيّة ، وشباك وفيقه مثال على هذا الالتزام:

من ذاك الشباك الأزرقْ،

يتوحَد يجعل أشواكه

أزهاراً في دعة تعبق

شباكٌ مثلك في لبنان،

شباك مثلك في الهندِ،

وفتاة تحلم في اليابان

[1] بدر شاكر السياب حياته وشعره ،عيسى بلاطه،ص 160.
[2] الأعمال الكاملة ، شباك وفيقة، ص480.

كوفيقة تحلم في اللّحدِ

بالبرق الأخضر والرعدِ[1]

التوصيات

على الرغم من الدراسات التي كتبت عن السيّاب إلا أنّ شعره مازال بحاجة للدراسة ؛لذا يوصي الباحث بالآتي:

أولا: ضرورة دراسة هروب الشاّعر من المدينة ،هل هو نتيجة أثرها السلبي عليه أم بسبب التأثّر بالأدباء الغربيين الذين كرهوا المدينة والعيش فيها؟!.

ثانيا: أن يتناول الدارسون لشعر السيّاب العالمية في شعره ،كقضايا: القرية والريف وعلاقتها بالفطرة الإنسانيّة، وربط النهر والماء بالحياة والموت...

ثالثا:تناول قضية نبوءات السيّاب في تصويره لما يحدث في العراق في الفترة التي عاش فيها ، وبين ما يحدث فيه الآن.

رابعا: ضرورة تناول العتبات في شعر السيّاب، خصوصا عنونة قصائده.

خاتمة البحث

نجح السيّاب في جعل قريته جيكور رمزا أسطوريا ، فهي جنته على الأرض، ونهر (بويب) يروي أرضها وحقولها وأناسها العطشى،وليس ارتباط السيّاب بجيكور يعود فقط لكونه ابن القرية ،مسقط رأسه،رغم أهميّة ذلك، ولكن يعود أيضا لأسباب أخرى:

[1] المصدر نفسه ،ص480 .

أولا: تمثّل جيكور الملاذ والخلاص له من عذابات المدينة وماديتها التي حولت حياته إلى جحيم ،فبحث عن الخلاص الذي وجده في جنته (جيكور).

ثانيا: عدم نجاحه في حياته العاطفية والسياسية جعله يبحث عن مأوى يخفف عنه الضغط النفسي الذي يعيشه ، فكانت قريته الملاذ الذي لجأ إليه.

ثالثا: علاقته بأمّه ، من حيث فقدانه لحنانها ، ذلك الحنان الذي بكاه في شعره، وبحث عنه فوجده في تراب جيكور وأفيائها، ، فجيكور تحوي في باطنها قلب أمّه وأضلاعها؛لذلك تحنّ عليه وترعاه.

رابعا: المرض الذي نخر جسده، وبراه ،جعله مرهف الحسّ حزينا ؛ ولأنّه لم يجد من يخفف عنه وطأة هذا الألم في المدينة المادية ،فلجأ لقريته؛ لأنّ القرى والأرياف فيها مشاركة للمشاعر والعواطف أفضل من المدينة؛لذلك كانت جيكور تملأ عليه قلبه وعقله ووجدانه ، يعود إليها في الحقيقة إن سنحت له الفرصة، وإن لم يستطع عاد إليها في أحلام اليقظة والنوم.

المصـادر المراجــع

1-بسيوني ،سمير:اديوان بدر شاكر السياب،دراسة وتقديم للأعمال الشعرية الكاملة ، الناشر مكتبة الإيمان ، مكتبة جزيرة الورد ، تاريخ النشر 2009 م .

2-بطرس، انطونيوس: بدر شاكر السياب شاعر الوجع ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان ، 2000م

3-بلاطه ،عيسى: بدر شاكر السياب حياته وشعره، ، ط6، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت لبنان ، 2007م

4-الشقيرات، أحمد عودة الله: الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب ،ط1 ، دار عمار ، 1987م

5-عباس، إحسان: بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره ، ، ط4، دار الثقافة.، بيروت لبنان ، 1978م

6-علوش ، ناجي: ديوان بدر شاكر السياب ، دار العودة ، بيروت ،1971م.

7-الفراهيدي، أبوعبد الرحمن الخليل بن أحمد:العين ، دار ومكتبة الهلال ، تحقيق : مهدي المخزومي و.إبراهيم السامرائي.

8-نعمان ،خلف رشيد: الحزن في شعر بدرشاكر السياب، الدار العربية للموسوعات ،ط1، 2006م.